ارضه وبكل الوسائل، بالقتال وبرفع الدعاوي القانونية وبالاعتصامات وبزرع كل شبر من الارض يمكن زرعه. هذا صحيح، ولكن توسّعية العدو الصهيوني هي جزء من جوهره وحياته. ومواجهة هذه التوسعية، هي عمل يومي بالنسبة الى الشعب الفلسطيني، وقد تكون بالنسبة الى الدول العربية المحيطة بفلسطين، من أعمال الاستعداد لمواجهة احتمالات العدوان.

ويمكن عند أخذ كل صفة من صفات العدو الصهيوني استنباط الفروق المترتبة على وجود هذا العدو، فعلاً، على أرض فلسطين، وعلى ما يشكله هذا العدو، بالفعل، على الدول العربية المحيطة. وليس المقصود هنا، التحليل التاريخي الذي جعل فلسطين تقف وحدها في مواجهة العدو الصهيوني مباشرة، والذي أدى بالدول العربية الى الالتفات عن المواجهة المباشرة مع العدو الصهيوني واهتمامها بالبناء الداخلي في بلادها، وانما المقصود أن يتذكر الناس تلك الفوارق التي تميّز بين مواقف الشعب الفلسطيني، واحتياجاته، وظروفه، وبين مواقف شعوب الامة العربية الاخرى، واحتياجاتها، وظروفها، وهو أمر ضروري لكي يدرك الذين هم خارج فلسطين من العرب دوافع الشعب الفلسطيني، وخططه، وتحركاته، النابعة، أولاً وأخيراً، من أرضه وحياته وظروفه.

ولعل هذا الفارق الهام يبيّن أثر الفعل الفلسطيني في ايقاف نمو العدو الصهيوني، وأثر الفعل الفلسطيني في حماية البلاد العربية، بل واثر الفعل الفلسطيني في فضح العدو الصهيوني أمام الرأي العام العالمي، وتعبئة القوى المحبّة للسلام والحرية والمساواة ضده.

ولعل ذلك يبيّن، أيضاً، الفارق بين الفعل الثوري الفلسطيني، أي بين الثورة الفلسطينية، في مرحلتها المعاصرة، والمرتبطة، منذ انطلاقها، بأرض فلسطين وشعبها وواقعه، وامتلاكها المبادرة ومواصلة الهجوم على العدو الصهيوني دون توقف ودون انتظار، وبين المواقف العربية المتنوّعة الاخرى. فالصراع بين الشعب الفلسطيني وبين العدو الصهيوني صراع يومي، وهو يجرى على أساس معادلة صفرية بين طرفين، أحدهما منتصر والآخر خاسر، الأول متقدم والثاني متراجع، وبايجاز، فان الاول، أي الشعب الفلسطيني وفلسطين، هو نقيض الثاني وحفّار قبره.

الاستقلال الفلسطيني

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، في مرحلتها المعاصرة، حرصت قيادتها على الالتصاق بالواقع، واقع شعبها الفلسطيني، وواقع الأمة العربية، والواقع العالمي، وذلك في خضم طوفان هادر من الايديولوجيات والبرامج السياسية والكتابات التي رفضتها في البداية، ثمّ حاولت الباسها اردية مختلفة في المراحل التالية. ولقد تأثر المسار الفلسطيني بكل ذلك، ولكن الذي أبقى على شعلة الثورة مستمرة كان هو الالتصاق بالواقع، والتمسّك به، وتوجيه كل الجهود ضد العدو الصهيوني، واعتبار فلسطين الوطن هي القبلة الأولى للفلسطينيين حيثما كانوا، بغض النظر عن آرائهم ومعتقداتهم السياسية.

كان التمسّك بالوطن، وما زال، المقياس الذي تقاس به مواقف القوى السياسية. وكان الايمان باستقلال هذا الوطن، وما زال، المنطلق الذي يحّرك كل العمل الفلسطيني. وليس من المصادفة أن يعلن البلاغ السياسي الأول، الذي أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة وهي تقدم البلاغ العسكري الأول، بوضوح تام: «ان مخططاتنا في الميدانين، العسكري والسياسي، لا تتعارض مع المخطط الفلسطيني والعربي الرسميين في المعركة، لأن الكفاح من أجل فلسطين يصّب في مجرى